

التّحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ و النشر يقدّم

:: تفريغ الكلمة المرئية ::



للشّيخ



عضو اللجنة الشرعية في جبهة النصرة



المدّة : 17 دقيقة

إنتاج ونشر : مؤسسة البصيرة للإنتاج الإعلامي

مؤسسة التحايا تقدم

تفريغ كلمة مرئية بعنوان:

دروس وعبر من حياة سادة البشر – 2

للشيخ :

أبو سليمان المهاجر

– حفظه الله –

عضو اللجنة الشرعية العامة في جبهة النصرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا يا كريم.

اللهم اجعل عملنا كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئًا، أما بعد:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

قبل أن نبدأ حلقة اليوم أود أن أذكر لكم كلامًا نفيسًا إذا استقر في أذهان الإخوة استفادوا من هذه القصص استفادة عظيمة -بإذن الله عز وجل-، يقول الشيخ أبو قتادة -فك الله أسره- في كتابه (على خطى الخليل إبراهيم عليه السلام):

"القدوة لا تعني فرض النموذج المُقتدى على الواقع، بل القدوة تعني أولًا فهم الواقع كما هو ثم البحث عن طرق معالجته من خلال القدوة إجمالًا مع احترام وحكمة الخصوصية التي تناسب الحدث المعاصر" انتهى كلامه.[1]

فهذا الكلام مهم لابد أن يفهمه المسلم قبل التعامل مع أي واقع وقبل خوض أي تجربة، ويجب علينا أن نفهم كيف يكون الاقتداء بأسلافنا مع وجود فوارق كثيرة بين واقعنا وواقعهم.

[1] على خطى الخليل إبراهيم؛ كسر الصنم – ص6 ، ط : النور للإعلام الإسلامي - الدنمارك

ويقول الشيخ أبو قتادة -فك الله أسره- في موضع آخر:
"والاقتداء بالقصص القرآني لا يكون بالمطابقة في كل أحداث القصة، بل يكون بالعبرة في معنى من المعاني فيها، والفرق مهم هنا بين الأمرين فإن ظن البعض أن سير السالفين تُحكى من أجل السير على منوالها حذو القذة بالقذة خطأ أورده المهالك والجهالات وهذه جهالة في المنهج والعقل، كذلك لأن المقتدي التابع له واقع وهذا الواقع يحكم حركته لا واقع المُقتدى السالف؛ فالواجب هو الواقع لا القصة الذاهبة مصدر العبرة، أما الذين يفرضون القصة الذاهبة على الواقع الذي يعيشونه هم أبعد الناس عن المنهج العلمي بل العقل" انتهى كلامه فك الله أسره وحفظه ورعاه.[2]

وهذا في نقل ما حصل مع الأنبياء المعصومين -عليهم الصلاة والسلام- فما بالك بنقل تجارب المعاصرين والتي قد ثبت فشلها في بعض نواحيها، فانتبه.

وعودة إلى حديثنا لازلنا في الحديث عن شخصيتنا الأولى من هذه السلسلة المباركة أبي الأنبياء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، وذكرنا في الحلقة السابقة كيف كان إبراهيم -عليه الصلاة- في مواجهة أبيه، وكيف كانت دعوته إلى اتباعه لينال السعادة في الدارين.

وكان ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة دون إفراط أو تفريط، ولكن لم يكتب الله لأبيه الهداية فلم يجاوز كلام إبراهيم عليه السلام أذن أبيه، ولم يصل هذا الكلام إلى قلبه فسارع إبراهيم للبحث عن أسلوب آخر لتحقيق مراد الله عز وجل فلم تنتهي مهمته بعد.

---

[2] على خطى الخليل إبراهيم؛ كسر الصنم – ص5 ، ط : النور للإعلام الإسلامي – الدنمارك

ومعلوم أن صاحب القضية لا يتأثر بعدم رؤية النتيجة بعد التجربة الأولى أو التجربة الثانية أو المئة، بل لا يتوقف عن المحاولات أبدًا حتى يحقق مراده أو يهلك دونه، ولا يعج إذا واجه الصعوبات فالذي يحمل هم هذه الأئمة يدرك أن الجنة لابد لها من بذل وعطاء، وأن الرفعة لابد له من دوم وأشلاء، لابد من سهر وتعب، ومن تهم وافتراءات، فهذه سنة الله عز وجل: ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ [فاطر: 43].

تعالوا معنا لنتأمل الحوار الذي دار بين إبراهيم -عليه السلام- وقومه والذي هو في صميم العقيدة الإسلامية، نرى فيه توكل المؤمن على المولى عز وجل وتذكيرًا بيوم البعث والنشور.

تعالوا بنا لنتأمل في كلام ربنا تبارك وتعالى في هذه السورة المباركة لعل الله أن يشرح صدورنا وأن ينور قلوبنا فنسير على درب الأنبياء والمرسلين في نشر هذه الدعوة إلى الله، في نشر التوحيد الخالص في أرض الله سبحانه -عز وجل-، ولا نكون كما قال الله -عز وجل- فيهم: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد: 24]

قال المولى -عز وجل- في سورة الشعراء بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين * رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي إنه كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء: 75-88]

هنا نرى كيف تبرأ إبراهيم -عليه السلام- من آلهتهم كلها وصرح بذلك وعاداهم ﴿ **قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون** ﴾ [الشعراء: 75-76] ، فلا كرامة لشيء من أجل قدمه، ولا اعتبار لشيء باطل من أجل أن الآباء والأجداد آمنوا بها من قبل، بل كان ذلك هو نفس استدلال الكفار الفاسد على العصور كلها

كما قال المولى -عز وجل- في سورة فاطر: ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون** ﴾ [فاطر: 22] فالأصل أن التابع الحق لأنه حق وليس لأن فلان قاله أو علان وخاصة إذا كان القائل صاحب جهل وهوى وكفر وعناد، ثم قال إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ **فإنهم عدو لي** ﴾ [الشعراء: 77]

وكأن كل هذه الآلهة جمعهم في جسد واحد من أجل التحقير، وكذلك جمعهم في جسد واحد ليطلق عليهم حكمًا واحدًا فلا فرق بين طاغوت وآخر، بل ملة الكفر واحدة، واستثنى من المعبودات التي كانوا يعبدونها هذه المولى سبحانه -عز وجل-، وهذه دقة في اللفظ على الداعي أن ينتبه لها فإن استثناء المولى -عز وجل- في ذكره الآلة من أعداء إبراهيم أمر ضروري قد يكون من آباءهم الأقدمين من عبد الله -عز وجل- قبل أن تنحرف عقيدتهم وهذا الاعتزال الذي رأيناه من إبراهيم -عليه السلام- ومفارقته الآلهة رأيناه في مواقف أخرى.

قال الله -عز وجل على لسانه: ﴿ **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا** ﴾ [مريم: 48] ماذا كانت النتيجة بعد أن اعتزلهم؟

﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا * ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا** ﴾ [مريم : 49-50]

وكما ذكرنا في الحلقة السابقة أنه لم يكن رابط القرابة ورابط الرحم عند إبراهيم -عليه السلام- لم يكن هذا الرابط أعظم من رابط العقيدة بل لما تعارض هذا مع ذاك فارق قومه وتبرأ منهم قبل أن يتبرأ من معبوداتهم، وقال تعالى في إبراهيم: ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ جازاه الله –عز وجل- بهذه التبرأة، جازاه الله -عز وجل- بهذه المفارقة، جازاه بذرية طيبة يكونون له لسان صدق يذكرونه بالخير، ويُذكروا هم بالخير كذلك وإلى يومنا هذا ففي كل صلاة يصلي المسلمون فيها ويسلموا على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وهذا مع أن الذي يتبادر إلى الذهن البشري أنه حينما يفارق الإنسان قومه وأهله ووطنه تنقطع عنه أسباب الرزق، وهذا درس لكل من تردد في الهجرة إلى الله -عز وجل-

فنقول: إن اتباع الإنسان الحق وتركه ما سواه وتمسكه بعقيدة سليمة لا يداهن أحدًا فيها يكون ذلك سببًا بإذن الله -عز وجل- ليفتح الله عليه أبواب الخير ويرزقه من حيث لا يحتسب، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه وأرضاه-: "إنك لن تدع شيئًا لله إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه"، والحديث رواه أحمد والبيهقي وغيرهما ورجاله رجال الصحيح.[3]

ثم يقول المولى عز وجل على لسان إبراهيم: ﴿ **الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين** ﴾ [الشعراء : 78-79] وصف إبراهيم -عليه السلام- ربه سبحانه وتعالى -عز وجل- بدقة ففي كل فعل يحتمل أدنى مشاركة في المخلوقين.

[3] رواه الإمام أحمد بلفظ قريب في مسنده [انظر : مسند الإمام أحمد بتحقيق : الشيخ أحمد شاكر والشيخ حمزة الزين ، ط : دار الحديث (306/15) برقم : 20617 قال حمزة الزين : إسناده صحيح ، انفرد به أحمد.]

كان إبراهيم -عليه السلام- يأتي بالضمير المنفصل هو ليؤكد أن الفاعل على الحقيقة هو الله سبحانه -عز وجل-، وإن أرسل رسلًا لهداية الخلق فكانوا سببًا لكن الهادي هو الله، وإن جعل طعامًا وشرابًا سببًا في الإشباع لكن الذي يطعم ويسقي هو الله، وإن جعل الله دواءً وأطباء فإن الذي يشفي هو الله لا شفاء إلا شفاءه، وهكذا ينظر إبراهيم ويعلمنا أن ننظر إلى بواطن الأمور لا ظواهرها، وأما الأمور التي لا تحتمل مشاركة أحد فيها كالأحياء والإماتة فإنه لم يحتاج هنا أن يأتي بما يؤكد هذه الصفات في حق المولى -سبحانه وتعالى-.

يقول المولى -عز وجل-: ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ [الشعراء: 82]، سبحان الله قمة في التواضع وهضم النفس، يبين لنا إبراهيم -عليه السلام- أنه مهما بلغ الإنسان لا يجب عليه أن يكون واثقًا من نفسه، مغرور أن الله عز وجل سيغفر له، وأن الله عز وجل سيدخله الجنة، وأنه من الطائفة المنصورة، وأنه قدم شيئًا عظيمًا لم يقدمه غيره..

قال الله -عز وجل- في المنافقين: ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات: 17] فلا راحة الآن ولم ندخل الجنة بعد، بل ولم نجد ريحها وما أدراك أن الله -عز وجل- تقبل منا عملًا واحدًا.

فقد روى ابن أبي يعلى في كتابه (طبقات الحنابلة) عن محمد بن حسناويه، قال: "حضرت أبا عبد الله أحمد بن حنبل -رضي الله عنه ورحمه- وجاءه رجل من أهل خراسان قال: يا أبا عبد الله قصدتك من خراسان أسألك عن مسألة. قال له :سلني، قال: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة" [4]

[4] طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى (290/2)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين

فيا مجاهد، يا عبد الله، لا تكن واثقًا من نفسك أنك ستدخل الجنة الآن، ولا تكن واثقًا أنه سيُختم لك بالشهادة كما تتمنى، فكم من مجاهد جاهد طيلة حياته ثم انحرف وضل وخُتم له بما لا يرضي الله -عز وجل-، وهذا الكلام الذي نقوله الآن ليس من أجل اتهام الآخرين وإنما هو لتحكم على نفسك وحتى تنظر إلى حالك وتراجع حسابك مع الله -عز وجل-، فتعلق بالله وسله من فضله.

أسأله سبحانه -عز وجل- أن يغفر لي ولك خطايانا كلها يوم الدين ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [الشعراء : 88-89] ، يقول ابن عباس معلقًا على هذه الآية: "القلب السليم شهادة أن لا إله إلا الله" [5] ، وقال إبراهيم عليه السلام: "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" وقد يحمل هذا الكلام تأويل اللسان بالذكر الحسن بمعنى: واجعل لي ذكرًا حسنًا في الأمم التي ستأتي بعدي وهذا وقع، وقد يحتمل التأويل أيضًا اجعل لي من ذريتي من يصدقني فيما دعوت إليه ويذكرني بخير فيكون المقصود هنا هو نبينا -صلى الله عليه وسلم-، فكانت الاستجابة لدعاء إبراهيم بعد آلاف السنوات، وهذا موافق لقوله سبحانه -عز وجل- في سورة البقرة: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ}

وفي الختام أقول كما قال القاسم البصري -رحمه الله تعالى-:

فَانظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ المُستَحسِنِ *** وأحسِنِ الظَّنَّ بهَا وحَسِّنِ

وَإِنْ تَجد عيباً فَسُدَّ الخَلَلاَ *** فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيهِ وعلا [6]

---

[5] تفسير القرآن العظيم لابن كثير – (6/149) ط: دار طيبة ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة

[6] ملحة الإعراب للحريري البصري – ص48

والحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

